مفهوم الشعر والشاعر في النقد العربي القديم

إبراهيم عبداللطيف المعداوي الإمام*

ملخص

محور هذا البحث يدور حول مفهوم الشعر فى النقد العربي القديم ، وأقصد بذلك تناول النقاد القدامى للشعر العربي بالنقد من حيث تحديد آليته ، وبيان الخصائص التى تنطوي عليها تلك الآلية ، وتوضيح بعض المسائل المتعلقة بالشعر من منظور الناقد العربي القديم حتى بداية عصر الإحياء النقدى فى العصر الحديث ، ثم بيان حديث النقاد عن صفة الشاعر أو ما يمكن أن يتوافر فيه من مقومات شخصية مؤثرة فى بناء أعماله الأدبية على صورة مبتكرة.

وقد تناولت فى هذا البحث بداية الحديث عن مكانة الشعر عند العرب الجاهليين ، وما يتمتع به الشاعر من مكانة سامقة بين أفراد قبيلته ، ثم حاولت الوقوف عند آلية الشعر العربي القديم ، وتمثلت فى بعض العناصر وهى : اللفظ ، والوزن ، والمعنى الوجداني ، والقافية ، ثم . لاحقاً . الخيال الذى ينتج عنه الصورة الفنية المؤثرة فى المتلقي ، وتحدثت عن بعض المسائل المتعلقة بالشعر من منظور النقاد العرب القدامى وهى: معايير جودة الشعر ، وأقسامه ، ثم وقفت عند الصفات التى ينبغى توافرها فى الشاعر أو الأديب والتى لها أثر فى بناء شخصيته الأدبية ، وهى : الاستعداد أو الطبع (الموهبة) ، والذكاء ، والرواية ، والدربة ، والثقافة العالية ، وحفظ منتقيات من آثار الأدباء القدماء ، والنسج على منوالهم ، وأخيراً ختمت البحث ببعض النتائج التى توصل إليها .

مقدمة فى : مكانة الشعر عند العرب:

ليس من شك فى أن الشعر عند العرب الجاهليين كان له مكانته ، فقد منحهم الله الفصاحة والبلاغة ، فقَرْضُهم للشعر كان بالسليقة والفطرة التى وهبها الله للشاعر العربي الذى كان بمثابة الإعلامي والمتحدث الرسمي عن القبيلة يسجل مفاخرَها ، ومآثرَها ، ومحامدَها ، وحروبَها ، وأيامَها ، وأنسابَها ، فقد كان لسانها المنافح عنها في حلبة المفاخرة والتباهي.

وكانت العرب . كما يقول ابن رشيق القيرواني (ت456 هـ) : " إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل ، فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون فى الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان ؛ لأنه حمايةٌ لأعراضهم ، وذبٌ عن أحسابهم ، وتخليدٌ لمآثرهم ، وإشادةٌ بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يُولد ، أو شاعرٌ ينبغ فيهم ، أو فرسٌ تنتج "[1].

والشعر ديوانُ العرب وسجلُ مفاخرهم ووعاءُ محامدهم ، يقول (الجاحظ ت 255هـ): " فكل أمة تعتمدُ فى استبقاء مآثرها ، وتحصينِ مناقبها على ضربٍ من الضروب ، وشكل من الأشكال ، وكانت العرب فى جاهليتها تحتالُ فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها "[2].

وهذا (ابن سلام الجمحي ت 232هـ) يرى الشعر في الجاهلية هو ديوانُ علمهم ، ومنتهى حكمهم به يأخذون ، وإليه يصيرون"[3]. ويقول أحد المحدثين : ((وكان الشعراء فى الجاهلية بمنزلة الحكام ، يقولون فيرضى قومهم ، ويحكمون فيمضى حكمهم ، وصار ذلك فيهم سُنَّة يُقتدى بها ، وأثارةٌ يُحتذى عليها))[4].

فلا غرو إذا قلنا : إن الشعر عند العرب القدماء كان يحتلُ مكانةً سامقةً ، لما له مِن أثرٍ كبيرٍ فى نفوسهم ، وفى كل شأنٍ من شؤون حياتهم ، ومكانة

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والفنون – جامعة حائل.

الشاعر بين أفراد مجتمعه . أيضاً . لا تقل شأناً عن مكانة الشعر عندهم .

ومن هذا المنطق فإنني في هذا البحث أتحدثُ عن مفهوم الشعر من منظور النقاد العرب القدامى ، وعما ينبغي أن يتحقق في الشاعر من صفات من أجل نبوغه في قرض الشعر.

ثانياً : آلية الشعر:

لقد تحدث (الجاحظ ت 255هـ) عن آلية الشعر فى أثناء كلامه عن المعاني بأنها((مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي [المدني] ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة(*)، وضربٌ من النسج ، وجنسٌ من التصوير))[5].

فالشعر عند الجاحظ يقوم بالصياغة المحكمة للمعاني، وإخراجها فى جمل وتراكيب منسقة ذات دلالات موحية ، ثم نسج هذه الدلالات فى أسلوب تتناسق داخله الألفاظ والمعاني تناسقاً ملائماً للغرض من الشعر ، وتصوير تلك المعاني تصويراً فنياً ، يبرز عاطفة الشاعر، ورؤيته الشعرية التى ينبغي أن تكون واضحة الدلالة تجاه الموقف الذى يعرض له.

وقد يُظَنُّ أن الجاحظ يميل إلى الألفاظ في صياغة الشعر على حساب المعاني ؛ لأنه جعل المعاني مطروحة في الطريق ، ولكن هذا رأي غير صحيح ؛ فهو يريد بالمعاني المطروحة في الطريق تلك المعاني الشائعة المتداولة بين الناس ، فهى المراد بها في نظم الكلام وتأليفه.

فآلية الشعر من وجهة نظر (الجاحظ) ترجع إلى الصياغة وتأليف العبارة ، والتصوير الذى يكون في المعاني ، ومن أقواله التى يهتم فيها بالألفاظ والمعاني معاً : ((ولكل ضرب من الحديث ضربٌ من اللفظ ، ولكل نوعٍ من المعاني نوعٌ من الأسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل))[6].

فليس من شك في أنه يدعو إلى التناسب في البناء الشعري بين الألفاظ والمعاني ، فلا يكون المعنى سخيفاً ، واللفظ شريفاً ، ولا يناسب المعنى الجزل إلا لفظ جزل ، وهذا أدعى أن يبرأ الجاحظ مما قد نسب إليه من انحيازه إلى جانب اللفظ ضد المعنى في أثناء نقده للبيتين اللذين استجادهما أبو عمرو الشيبانى وأمر بكتابتهما في مختار الشعر لمعناهما. ومن أقواله ـ أيضاً ـ في الموائمة بين الألفاظ والمعاني في قول الشعر: ((وإنما الألفاظ على أقدار المعاني ، فكثيرُها لكثيرها، وقليلُها لقليلها، وشريفُها لشريفها ، وسخيفُها لسخيفها))[7].

فآلية الشعر عند (الجاحظ) تقوم على حسن التأليف بين الألفاظ والمعاني ، وهو ما يسمى بحسن النظم ، ولكنه يضيف إلى ذلك عنصراً آخر لا غنى للشعر عنه ، وهو الوزن في سياق الحديث عن ترجمة الشعر عن العرب إلى لسان آخر ، فإذا ترجم ، فسدت بلاغته ، ومتى حُوِّل ، تقطَّع نظمه ، وذهب حسنُه وجمالُه ، وصار إلى كلام منثور ، يقول : ((وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى مَنْ تكلم بلسان العرب ، والشعر لا يستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حُوِّل تقطع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حُسْنُه ، وسقط موضعُ العُجْب ، لا كالكلام المنثور ، والكلام المنثور المبتدأ على ذلك ، أحسن وأوقع من المنثور الذى تحوَّل من موزون الشعر))[8].

وهذا رأي سديد ؛ فالوزن أساس من أسس الشعر ، وآلية من أهم آلياته ، وجماله رهن ببنائه وبنظمه ، فَحَلُّ الشعر ، وتغييره من حالةِ وزنِه إلى حالةٍ غير موزونة ، يُضْعِف حسنَه ، بل إنَّ المنثور في الأصل، أحسن وقعاً على النفس منه.

كما أن التصوير في رأي الجاحظ أحد آليات الشعر، وهو لا يكون إلا في المعاني ، وبالقدرة على التصوير

تتباين شاعرية الشاعر عن غيره من الناس ، يقول الناقد (أحمد أمين) : " والذى يجعل الشاعر شاعراً هو تلك القدرة على التصوير فقد يكون عندنا شعور فياض كالذى عند الشاعر ، ولكن ليس عندنا من المقدرة على التصوير ما عند الشاعر ن ومن ثمَّ كان من المستحيل ترجمة شعر من لغة إلى شعر في لغة أخرى كما قدمنا ، إذ الترجمة تذهب بما للشاعر من قدرة فنية وطريقة أداء "[9].

وإذا جئنا إلى (ابن قتيبة ت 276هـ) نجده قد اختزل آلية الشعر فى قضية اللفظ والمعنى التى عرض لها ، من خلال بعض الشواهد الضئيلة فى تقسيمه للشعر إلى أربعة أنواع دون أن يحدد لنا أهم آليات الشعر التى يقوم عليها مثل الإيقاع ، أو الأسلوب الشعرى الذى يشمل اللغة والخيال ، أو الصورة الفنية التى لها تأثير السحر فى متلقي الأدب ، أما تقسيمه للشعر إلى أربعة أنواع فسوف نعرض له فى مكانه من هذا البحث عند الحديث عن صفة الشعر من حيث أقسامه.

وهذا (ابن طباطبا العلوي ت 322هـ) الناقد صاحب الذوق العربي فى النقد ؛ إذ حدَّد لنا مفهوم الشعر وهو يفرِّق بينه وبين النثر، بما خص به الأول من الوزن والإيقاع بقوله في كتابه (عيار الشعر): " الشعر . أسعدك الله . كلام منظوم بائن عن المنثور الذى يستعمله الناس فى مخاطباتهم بما خُصَّ به من النظم الذى إن عُدِلَ عن جهته مجَّتْه الأسماع ، وفسد على الذوق، ونظمُه معلومٌ محدودٌ ، فمَنْ صحَّ طبْعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعَرُوض التى هى ميزانُه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العَرُوض والحِذْق به حتى تعتبرَ معرفتُه المستفادةُ كالطبع الذي لا تكلُّف معه "[10].

واضح من النص السابق أن ابن طباطبا يعوّل فى تحديده للشعر على آلية النظم أو الإيقاع . يقصد الوزن والقافية . الذى يفرق به بين الشعر والنثر العادي الذى يستخدمه الناس فى أثناء مخاطباتهم ، ويؤكد على أن هذا النظم ضروري فى عمل الشعر ، والذي إذا عدل به عن جهته مجَّته أسماعُ المتلقين ، وفسد على الذوق ، ويؤكد . أيضاً . على أهمية الطبع والذوق الفني كأداتين رئيستين فى بناء الشعر ، ولذا يرى أن مَنْ كان يملكهما فهو في غنى عن تعلم الأوزان والقوافي ، وإلا فعليه أن يراجع دراسة العروض والحذق بها حتى تصبح معرفته المستفادة منها كالطبع، وتستقيم موهبته.

وعلى الرغم من اهتمام (ابن طباطبا) بالشعر على أساس أنه بنية لُغوية تقوم على الوزن والقافية ، وتعتمد على الطبع والذوق الفطرى اللذين هما أساس الموهبة الشعرية ، إلا أنه قد غفل عن أهم آلية من آليات الشعر ألا وهى الخيال ، ذلك العنصر الذى من خلاله يستطيع الشاعر أن يعبر عن رؤيته للموقف الذى يصوره لنا ، وعلى قدرة الشاعر فى تخيله للموقف يقدر على إفراز أهم عنصر للشعر ، ونقصد به الصورة الفنية . وقد غفل عنها . أيضاً. ابن طباطبا . تلك الصورة التي تؤثر فى المتلقين ، فالتأثير فيهم هو البغية الأساسية للعمل الأدبي.

وعلى الرغم من أن ابن طباطبا يعد الوزن من أهم أسس قول الشعر ، وأنه فطرة يفطر عليها الشاعر الموهوب ، إلا أنه مما يؤخذ عليه قوله في أثناء الحديث عن الشعر المتقَن ، إنَّ أبيات الشعر إذا حُلَّت، وتحوَّلت نثراً لم تفقد جمال معانيها ، أو جزالة ألفاظها ، يقول:((فمن الأشعار أشعارٌ محكمةٌ متقنةٌ أنيقةُ الألفاظ حكيمةُ المعانى ، عجيبةُ التأليف إذا نُقِضَتْ وجُعلتْ نثراً لم تَبْطُلْ جودةُ معانيها ، ولم تفقدْ جزالةَ ألفاظِها))[11]. وهذا رأيٌ غيرُ سديد ؛ فالوزن . كما قال ابتداءً . فطرة يفطر عليها الشاعر ، وإذا فقدها ، فإنه يحتاج إلى تعلم العروض حتى تصبح

معرفته كالطبع ، والشعر . كما ذكر الجاحظ آنفا . إذا حُلَّ نثراً ، أو نُقِلَ إلى لغة أخرى بالترجمة فإنه يفقد جماله ورونقه ، وحسن نظمه ، وروعة معانيه.

وقد يبدو أن ابن طباطبا قد أغفل أثر القافية في بناء الشعر ، أو لم يتنبه إلى أهميتها في الشعر ، ولكنَّ هذا ظنٌ قد يزول إذا ما تبيَّنَّا أنه لم يغفل أثر القافية في أثناء حديثه عن الكيفية التى ينظم بها الشاعر قصيدته[12]. فقد قال : ((فإذا أرادَ الشاعرُ بناءَ قصيدةٍ مخضَ المعنى الذى يُريد بناءَ الشِّعر عليه في فِكْرِه نثراً ، وأعدَّ له ما يُلبِّسُه إيَّاه من الألفاظ التى تُطابِقُه ، والقوافي التى توافِقُه ، والوزن الذى يُسلِسُ له القولَ عليه ، فإذا اتفقَ له بيتٌ يُشاكِلُ المعنى الذى يرُومُه أثبته ، وأعمل فكرَه في شَغل القوافي بما تَقْتَضيه من المعاني على غيرِ تنسيقٍ للشعر أو ترتيب لفنون القول فيه ؛ بل يُعلِّقُ كلَّ بيتٍ يتفقُ له نظمُه ، على تفاوتِ ما بينَه وبينَ ما قبلَه))[13].

يتضح إذاً أنه ينبِّه إلى أهمية القافية ، وأثرها في بناء الشعر ، وأنه يجب إخضاع المعاني للقوافي التي يريدها الشاعر ، وعليه أن يُحسن اختيار القوافي التى تناسب المعنى الذى يرومه ، ونراه يتحدث عن القوافي القلقة في أثناء حديثه عن الشعر الرديء النسج فيقول في (عيار الشعر) : ((ومن الأبيات المستكره الألفاظ ، القلقة القواقي ، الرديئة النسج ، فليست تسلم من عيبٍ يلحقها في حشوها أو قوافيها أو ألفاظها أو معانيها ، قول أبى العيال الهُذلى:

ذكرتُ أخِى فعاودني

صداعُ الرَّأسِ والوَصَبُ

فذكْرُ الرأس مع الصداع فضلٌ.[14] فالصداع كما هو معروف لا يكون إلا في الرأس ، فلا يكون في غيرها من أعضاء الجسد ، والقافية قلقة في موضعها لا تتناسب مع المعنى في البيت.

كما أن الناقد لا يغفل أثر القافية التى وضعت في موضعها الصحيح ، وهى التى يسميها بالقافية المتمكنة ، يقول : ((ومن القوافى الواقعة في موضعها ، المتمكنة من مواقعها قول امرئ القيس:

بعثْنا ربيئاً قبلَ ذلك مُحْملاً

كذئبِ الغَضا يَمشى الضَّراءَ ويتَّقي

فوقعت " يتقي " موقعاً حسناً.[15]

الناقد إذاً لم يغفل أثر القافية في بناء الشعر ، وأنها تؤثر تأثيراً مهماً في نظمه ، فقد تكسبه جمالاً ، كما في الشعر المحكم الذى تتمكن قوافيه ، وقد تفسد الشعر ، وتضيع بهاءه وجماله ، كما في الشعر الرديء النسج الذى من سماته القوافي القلقة . كما أنه قد أفرد صفحة في آخر الكتاب تحدث فيها عن القافية.[16]

كما أن الناقد اهتم بالوزن والقافية وأثرهما في صياغة الشعر ، فإنه لم يغفل آلية اللفظ والمعنى وأثرهما في قبول الشعر واستساغته ، فنراه يقول في (عيار الشعر) : ((وللشعر الموزون إيقاع يطربُ الفهمُ لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه ، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ ، فصفا مسموعُه ومعقوله من الكدر تمَّ قبوله له))[17].

وعندما نبحث عن آلية الشعر عند (قدامة بن جعفر ت 337هـ) نجده قد حددها فى أربعة عناصر تحديداً منطقياً وهى اللفظ ، والوزن ، والقافية ، والمعنى ، فهو يقول فى حد الشعر الفارق عما ليس بشعر : ((وليس يوجد فى العبارة عن ذلك أبلغ ، ولا أوجز مع تمام الدلالة مِنْ أن يقال فيه : إنَّه قول موزون مقفى يدل على معنى ، فقولنا : " قول " دال على أصل الكلام الذى هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا :" موزون " يفصله عما ليس بموزون ، إذ كان

من القول موزون وغير موزون ، وقولنا :" مقفى " فصل بين ما له من الكلام الموزون قوافٍ وبين ما لا قوافي له ، ولا مقاطع ، وقولنا :" يدل على معنى " يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ، فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً على هذه الجهة لأمكن ، وما تندر عليه))[18].

ويصف الشِّعر بأنَّه صناعة مثله فى ذلك مثل سائر الصناعات ، وأن كل صناعة لها طرفان : أحدهما فى غاية الجودة ، والآخر فى غاية الرداءة ، وبينهما حدود وسطى ، تجود أو لا تجود بحسب قربها من هذين الطرفين"[19]. إنَّ وصف (قدامة) للشعر على النحو السابق وصف منطقي دقيق يدل على توافر أربع آليات للشعر ، وهى : اللفظ ، والوزن ، والقافية ، والمعنى ، وكان التعريف نفسه كما يقول د/ إحسان عباس في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، 2001م) :" مورطاً لقدامة على الصعيد المنطقى ؛ لأن القافية لا تعدو أن تكون لفظة فهى جزء من القول أو ركن " اللفظ " أى هى داخلة فى " اللفظ" وفى " المعنى " وفى " الوزن " ، فإفرادها خروج على المنطق "[20].

وقد انتبه (قدامة) لأثر القافية في إنتاج الشعر ، فقال في تعريفها : ((أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج ، وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها ، فإن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ، ولا يكادون يعدلون عنه ، وربما صرَّعوا أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره ، وأكثر مَنْ كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر ، فمنه قوله:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

بسقط اللِّوى بين الدخولِ فحومل

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال:

أفاطِمِ مهلاً بعض هذا التّدلُّلِ

وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملى))[21].

ونلحظ من هذا الاستشهاد أن الناقد يؤكد على أهمية القافية في إجادة القول الشعري ، وأن الشعراء الفحول يكثرون من تصريع البيت الأول من القصيدة ، وربما صرعوا في أثناء القصيدة ، كما كان يفعل امرؤ القيس ، واستشهد الناقد بأبيات له فيها تصريع بين العروض والضرب منها ، وهذا دليل على الشعر الجيد . ويرى أن القافية ينبغي أن تكون ملائمة للمعنى في سائر البيت ، فالقافية تتعلق بمعنى البيت، وهذا التعلق يطلق عليه مصطلح (التوشيح) يقول فيه : ((وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى إن الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره ، وبانت له قافيته ، ومن استشهاداته على التوشيح ، قول الراعي:

وإنْ وُزِنَ الحصَى فوزنتْ قَومي

وجدتَ حصى ضريبتهم رَزِينَا))[22].

ومن مصطلحات القافية التى تلائم سائر البيت عنده (الإيغال) ، وقد عرفه بقوله : ((هو أن يأتى الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر ، فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت كما قال امرؤ القيس:

كأنَّ عيونَ الوحشِ حَوْلَ خِبائِنَا

وأرحلَنا الجزعُ الذى لم يُثْقب))[23].

وهو هنا يشير إلى ما سماه ابن طباطبا من القوافي المتمكنة ، فيجعل القافية لها أثر أساسى في بناء الشعر ، فهى ليست حشو في البيت لإتمام الوزن ، وإنما هى تتمم الوزن ، وتكمل معنى البيت دون أن تكون فضلاً .[24]

وعلى أية حال فإن (قدامة) قد غفل عن أهم آليات الشعر وخصائصه الضرورية وهى الخيال ، والتصوير الفني ، ولم يدرك مثل ابن سينا فى تعريفه للشعر بأنه : " كلام مخيل مؤلَّف من أقوال موزونة متساوية عند العرب مقفاة "[25].

أما(الآمدي ت 370 هـ) فقد عرض للشعر فى مفهوم أهل العلم بقوله : ((وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ؛ فإنَّ الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف))[26].

فقد وضح لنا الآمدى صفة الشعر عند علماء اللغة العربية بأنها تجمع ما بين براعة الاستهلال ، والألفاظ الدقيقة المختارة التى توضع فى موضعها اللائق بها ، مع إيراد المعنى المناسب للفظ الدال عليه ، ولم ينس الصورة الفنية كأساس رئيس من الأسس التى يبنى عليها القول الشعري ، وهى تتمثل هنا فى الاستعارات والتمثيلات اللائقة بالمعنى غير المتناقضة معه.

ويبين رأيه بوضوح فى صفة الشعر بأن يعرض لها من خلال تبنِّيه لأقوال شيوخه فى الشعر بقوله : ((وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود ولا تستحكم إلا بأربعة أشياء ، وهى : جودة الآله ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها))[27].

ونرى أن (الآمدي) وضح أربعة عناصر أساسية بها تُحْكَم صناعة الشعر ، وهى الصياغة اللفظية (جودة الآلة) ، وصحة المعنى (إصابة الغرض المقصود)، وصحة التأليف ويقصد بها (النظم فى الشعر، أو الوزن والقافية) ، ثم الانتهاء إلى تمام الصنعة ، ويقصد بها أن يكون قول الشعر على قدر حاجته من غير أن يزيد الشاعر فى اللفظ على حساب المعنى ، ولا أن يزيد فى المعنى على حساب اللفظ ، فيحدث الخلل فى قرضه.

ويرى الآمدي ـ أيضاً ـ أن صحة التأليف تأتى فى المرتبة الثانية بعد صحة المعنى ؛ إذ يصرِّح :" أن يحسن تأليفه ، ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته ، فصحة التأليف فى الشعر ، وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة المعنى ، فكلُّ مَنْ كان أصحَّ تأليفاً كان أقْوَمَ بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه "[28].

وليس من شك فى أنَّ (الآمدي) قد تعرَّض للحديث عن الصورة الفنية (الاستعارات والتمثيلات) على أساس أنها من أبرز العناصر المكوِّنة للشعر ، والتى تنطوي على تأثيرٍ قوي فى انجذاب المتلقي له ، إلا أنه قد أغفل الحديث عن الخيال فى معرض توضيحه لماهية الشعر عند أهل العلم ، وتبنِّيه لهذا الرأى ، على الرغم من أنه . أى الخيال . هو الذى يصنع الصورة فى مخيلة الشاعر قبل أن يخرجها لنا ، وعلى مقدرة الشاعر فى التخيل تأتى الصورة المؤثرة ، قوية متناغمة مع المعنى ، أو ضعيفة متناقضة معه .

ثم جاء (ابن رشيق القيرواني ت 456هـ) وقال فى حد الشعر: ((والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية ، قراره الطبع ، وسمكُه الرواية ، ودعائمه العلم ، وبابه الدربة ، وساكنُه المعنى، ولا خير فى بيت غير مسكون))[29]. وليس من شكٍ فى أن تشبيه ابن رشيق للبيت من الشعر بالبيت من البناء فيه تصوير فنى يقرب المعنى إلى أذهان المتلقين، فقد وضح من خلاله مقومات الشعر العربى وهى : الطبع، والرواية، والعلم ، والدربة ، والمعنى .

ومثل هذا التصوير. أيضاً . قوله فى الشاعر : " إنما

سمي الشاعر شاعراً ؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ، ولا اختراعه ، أو استظراف لفظ ، وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعانى ، أو نقص مما أطالع سواه من الألفاظ ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن"[30].

ونراه فى موضع آخر يقول : ((إنَّ الشعر يقوم بعد النِّية من أربعة أشياء ، هى : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية ، فهذا هو حد الشعر ؛ لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية ، كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر ، والمتزن ما عرض على الوزن فقبله ، فكأن الفعل صار له))[31].

والذى لا شك فيه أن (ابن رشيق) يردد ما قاله السابقون عليه فى حد الشعر والشاعر ، وإن كان يورد ذلك بعبارة موجزة ، وعلى الرغم من ذلك نجده قد أضاف . صراحة . عنصر النية فى قول الشعر أو قصد الشاعر إليه ، بهدف إخراج ما جاء موزوناً مقفى عفواً لا قصداً ، ولم تكن النية فى ذلك إنشاء الشعر كبعض الآيات القرآنية . وفى رَأْي أن نية الشاعر فى قول الشعر لابد أن تتوافر لديه حتماً حينما يريد التعبير عن المعنى الوجداني الذى يدور فى خلده بألفاظ تناسبه ، وتتوافق معه ، فالنِّية مضمره فى نفسه ، ويقصد إليها الشاعر طوعاً أوكرهاً ، لا مناص من ذلك ، وإلا أتى الشاعر بكلام لا معنى له ، وهنا تفقد الشاعرية عنصر المعنى المراد الذى ينشده الشاعر.

وإذا انتقلنا إلى الناقد (حازم القرطاجنى ت684هـ) وهو من نقاد المغرب العربى البارزين ، فنجده ينقد الشاعر الذى يشعر أن طبعه يهديه إلى قول الشعر دون أن يتعلم أصول الوزن أوالقافية ، فيرى نفسه من أمهر الشعراء ؛ لأنه يؤمن بأن : ((الشعرية فى الشعر إنما هى نظم أى لفظ اتفق كيفما اتفق نظمه ، وتضمينه أي غرض اتفق على أي صفة اتفق ،لا يعتبر عنده فى ذلك قانون ، ولا رسـم موضـوع))[32].

ولم يقف (حازم القرطاجنى) فى تعريف الشعر عند حدود الوزن والقافية ، والمعنى الذى يتفق للشاعر ، وإنما نجده قد أفاد من الفلاسفة عنصرين مهمين هما: التخييل ، والمحاكاة ، فيقول : ((الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويكرِّه إليها ما قصد تكريهه ؛ لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه ، بما يتضمن حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها ، أو مقصورة بحسن هيئة تأليف الكلام))[33]. فالناقد لم يقف عند الوزن والقافية في صياغة الشعر فحسب ، وإنما وقف عند ناحية التأثير أى فعل الشعر في التحبيب والتنفير ، فالشعر يعتمد على عناصر تمنحه هذه القدرة ومنها : حسن التخييل ، أو المحاكاة ، أو الصدق ، أو الإغراب.[34]

ومن هذا المنطق نجد أن (حازم القرطاجنى) قد أضاف إلى العناصر المكوِّنة للشعر . وهى اللفظ ، والوزن ، والمعنى الوجداني . عناصر أخرى وهى : التخييل والمحاكاة ، وكذلك التأثير فى المتلقي ، وفى الحقيقة أن العنصر الأخير تابع للتخييل ، وينتج عنه، فإذا استطاع الشاعر استثمار خياله بطريقة رائعة ، أمكن له أن يأتي بالصور الفنية التى تفرز هذا التأثير المنشود فى المتلقي.

ويمكن لنا القول : إن عنصر التخييل المستخدم فى الشعرية العربية القديمة لم يكن مستحدثاً كل الحداثة عند (حازم القرطاجنى) وإنما وجدناه عند (الجاحظ ت 255هـ) حينما عرَّف الشعر بأنه ضرب من النسج وجنس من التصوير ، واتضح هذا المعنى للتخييل جلياً في مفهوم بعض فلاسفة العرب للشعر أخذاً عن

فلاسفة اليونان ، ومنهم أفاد (حازم القرطاجني) فى تشكيل نظريته للشعر العربي ، وقد أشارت الدكتورة / ألفت الروبى إلى التقاء رؤية السجلماسى مع حازم فى وصفه للشعر بأنه كلام مخيل موزن مقفى ، وهذا الالتقاء مصدره واحد مشترك هو تراث الفلاسفة حول الشعر[35]. وبيَّنَتْ كذلك أن عنصر التخييل فى الشعر مصطلح خاص بالفلاسفة فى رؤيتهم للشعر ، وأن التخييل عندهم مرادف للمحاكاة ومقترن بها ، وكلاهما يستخدم للدلالة على الجانب التصويري فى الشعر من تشبيه واستعارة ومجاز ، أما استخدام التخييل للدلالة على الصياغة الشعرية وأثره التصويري فى بناء الصورة البلاغية فهو واضح عند ابن رشد ، وأن الفلاسفة أكدوا على أولية للتخييل على الوزن فى الشعر مع ضرورة اجتماعهما معاً لتحقيق السمة الشعرية ، واستدلت على ذلك بأقوال الفلاسفة فى تعريف الشعر.[36]

وفى هذا السياق يمكن أن نشير إلى بعض أقوال الفلاسفة لتوضيح من أين جاء عنصر الخيال فى الشعرية العربية ، فنجد (ابن سينا) يتحدث عن الشعر بأنه : ((كلام مخيّلٌ مؤلف من أقوال موزونة متساوية ، وعند العرب مقفاة ". والكلام المخيل هو :" الكلام الذى تذعن له النفس ، فتنبسط عن أمور ، وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار ، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسياً غير فكري سواء كان المقول مصدَّقاً به أو غير مصدق))[37]. ويقارن بين أثر المحاكاة . وهو التخييل . وبين التصديق ، فيرى أن كليهما إذعان إلا أن التخييل إذعان للتعجب، والالتذاذ بنفس القول ، والتصديق إذعان لقبول أن الشيء على ما قيل فيه.[38]

ويرى د/ جابر عصفور أن الفارابي أهم فيلسوف عربي استطاع الإفادة مما كتبة أرسطو عن الشعر ، وما كتبه عن النَّفْس، وأصبح واضحاً فى رؤيته أن الشعر: عملية تخيلية من حيث تشكّله فى خيال الشاعر ، وتأثيره فى المتلقي .[39]

ومن ثمَّ يمكن القول : إن حقيقة الشعر فى المفهوم النقدي القديم لم تقف عند حدود الوزن والقافية ، أو الإتيان بألفاظ ومعان فى دائرة البحور الخليلية ، بل نَمتْ على يد (حازم القرطاجني) الذي أضاف . حقيقة . عنصري التخييل، والتأثير النفسي فى المتلقي، وقد أفادهما من أقوال الفلاسفة فى الشعر ، وهل الشعر محاكاة وتخييل أو تصديق وتكذيب ، فانتهى فى رأيه إلى أن الشعر لا يمكن أن يسمى شعراً بمقدار ما فيه من عنصرى الصدق والكذب ، وإنما بمقدار ما فيه من محاكاة أو تخييل.

وممن كان له رأي في حد الشعر يذكر (ابن خلدون ت 808هـ) فهو لم يرتض تعريف القدماء للشعر ، بأنه الكلام الموزون المقفى ، فأخذ يبحث له عن تعريفٍ يفهم منه كنهه ، فقال : ((الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروي مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به ، فقولنا : الكلام البليغ جنس ، وقولنا: المبني على الاستعارة والأوصاف فصل عما يخلو من هذه، فإنه فى الغالب ليس بشعر، وقولنا: المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي ، فصل له عن الكلام المنثور الذى ليس بشعر عند الكل، وقولنا: مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة ؛ لأن الشعر لا تكون أبياته إلا كذلك ، ولم يفصل به شيء ، وقولنا : الجاري على الأساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة ، فإنه حينئذ لا يكون شعراً ، وإنما هو كلام منظوم ؛ لأن الشعر له أساليب تخصه ، لا تكون للمنثور ، وكذلك أساليب المنثور لا تكون للشعر ، فما كان من الكلام منظوماً وليس على

تلك الأساليب فلا يكون شعراً ...))[40]

ونفهم من كلام (ابن خلدون) عن الشعر ، أنه يؤكد على ضرورة مراعاة اتفاق القصيدة كلها فى الوزن الواحد حذراً من أن يتساهل الطبع فى الخروج من وزن إلى وزن يقاربه ، فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس، ولهذه الأوزان شروط وأحكام تضمنها علم العروض، وليس كل وزن اتفق فى الطبع استعملته العرب فى هذا الفن ، وإنما هى أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور ، وقد حصروها فى خمسة عشر بحراً أو ستة عشر بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب فى غيرها من الأوزان المعروفة نظماً "[41].

والشعر عند الناقد يباين النثر بالوزن : " اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين: فى الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ، ومعناه الذى تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية ، والنثر : وهو الكلام غير المنظوم " .[42]. وأن الشعر عنده ما هو إلا ضربٌ من التصوير والخيال أو على حد قوله : " هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي ... "[43].

والجدير بالذكر أن (أحمد أمين) قد انتقد تعريف ابن خلدون للشعر بقوله : " وعيب هذا التعريف أنه لم يلتفت إلى أكبر مزية للشعر ، وأحد أركانه ، وهو إثارة الشعور ، وعُني بالشكل فقط في بنائه على الاستعارة والأوصاف ، وكان خيراً منه أن يقول : إنه المبني على الخيال المثير للعاطفة "[44].

وطريق تعلم الشعر عند ابن خلدون هى حفظ أشعار العرب وكلامهم ، والنسج على منوالهم ، والصبُّ على قوالبهم ، وهذه القوالب كما تكون فى المنثور ... وهذا الحفظ يكون من جنس شعر العرب حتى تنشأ فى النفس ملكة الشعر ، فينسج على منوالها ويتخير المحفوظ ".[45]

مما سبق يتضح أن الناقد يركز في آلية الشعر وحدوده على الوزن الواحد فى القصيدة الواحدة ، وأن الشعر يختلف عن النثر بالوزن ، وأن الخيال والتصوير صفة أساسية لقول الشعر ، ثم أكدَّ على أهمية الاطلاع على ما دوّنه الأدباء وحفظه والنسج على منواله، والصفة الأخيرة تدخل في صفة الشاعر، وليس في صفة الشعر ، ولكن الناقد لم يأت بجديدٍ عما سبقه من آراء في تحديد آلية الشعر، بل غفل عن مزية التأثير التى تفاد من قول الشعر ، وقد سبقه إلى القول بها (حازم القرطاجني) فالتاثير في نفس المتلقي من بلاغة القول الشعري.

ثالثاً : مسائل خاصة بالشعر:

1 : معيار جودة الشعر:

قال الجاحظ في معيار جودة الشعر : ((وأجودُ الشعر ما رأيته متلاحمَ الأجزاء ، سهلَ المخارج ، فتعلمُ بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان))[46].

فمعيار جودة الشعر عند الجاحظ هو أن يكون الشعر مؤتلفاً غير متنافر ، تتجاور فيه الكلمات في اتساق وانتظام ، فكل أجزاء البيت تراها متفقة ، سهلة مخارج الحروف ، لينة سلسة النطق ، خفيفة على اللسان ، كأن البيت كله كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد.

ويرى ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ) في عيار الشعر ، أن مقياس جودة الشعر يعود إلى جودة المعنى وحسن صياغتها ؛ إذ يقول : ((فمن الأشعار أشعار محكمة أنيقة الألفاظ ، عجيبة التأليف ، إذا نقضت وجعلت نثرا ، لم تبطل جودة معانيها ، ولم تفقد جزالة ألفاظها ، وفيها أشعارٌ مموهةٌ مزخرفة عذبة تروق الأسماع والأفهام إذا مرتْ صفحاً ، فإذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها وزيفت ألفاظها ومجَّت حلاوتها، ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف فيه ...))[47].

ولكني أختلف مع (ابن طباطبا) فى قوله : إن الأشعار المتقنة إذا نقضت وصارت نثراً لم تفقد جودتها ؛ لأن جمالَ الشعرِ رهنُ بنائه ، والوزنُ أساسٌ مِنْ أسس تأليفه . ومن مقياس جودة الشعر عنده . أيضاً . انتظام الشعر ، واتساق أوله بآخره ، وأن تكون الكلمة بجوار اختها ، لا اختلاف بينهما فى النسج والفصاحة ، وحسن اللفظ ، ودقة المعنى ، فنراه يقول: ((وأحسن الشعر عنده ما ينتظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قُدِّمَ بيتٌ على بيتٍ دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقص تأليفها))[48].

ويقول ـ أيضاً ـ :" وأحسن الشعر ما يوضع فيه كل كلمة موضعها حتى يطابق المعنى الذي أريدت له ، ويكون شاهِدُها معها ، لا تحتاجُ إلى تفسير من غير ذاتها ، كقول جنُوب أخت عمرو ذى الكلب :[49]

فأقسمتُ يا عمرو لو نبَّهناك

إذا نبَّها منك داءً عُضَالا

إذاً نبَّها ليثَ عِرِّيسةٍ

مُقِيتاً مبيداً نُفُوساً ومالا

وخرْقٍ تجاوزتَ مجهولهُ

بوجناء حرْفٍ تشكّى الكلالا

فكنتَ النَّهارَ به شمْسَهُ

وكنتَ دُجَى الليلِ فيه الهلالا

ثم يعلق على الأبيات موضحاً رأيه فى جودة هذه الأبيات بأن الشاعرة نسَّقت الكلام ، ووضعت كل كلمة فى موضعها ، وبجوار أختها الملائمة لها ، مضيفاً معياراً آخر فى جودة الشعر ، وهو صدق الكلام ، فنجده يقول :" فتأمل تنسيق هذا الكلام وحسنه ، وقولها مقيتاً مُبيداً ثم فسرت ذلك فقالت نفوساً ومالاً ، ووصفته نهاراً بالشمس ، وليلاً بالهلال، فعلى هذا المثال يجب أن ينسق الكلام ، صدقاً لا كذب فيه ، وحقيقة لا مجازا معها فلسفياً "[50]

ويأتي (الآمدي ت 370هـ) صاحب كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) ويرى أن العلم بالشعر ليس هو سبب الإجادة فى قول الشعر ودليله على ذلك أن من الشعراء مَنْ كان يقول الشعر ، وشعره لا يفوق شعر مَنْ كان يقول الشعر وهو ليس بعالم؛ إذ يقول : ((كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً ، وكان الأصمعي عالماً شاعراً ، وكان الكسائي كذلك ، وكان خلف الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة مَنْ كان فى زمانهم من الشعراء غير العلماء ؛ فقد كان التجويد فى الشعر ليست علته العلم ، ولو كانت علته العلم ، لكان مَنْ يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم))[51].

وندرك مما سبق أن الشعر تصوير للإحساس لا للأفكار ، ومن أجل ذلك نجد (الآمدي) يفضل البحتري على أبي تمام ؛ لأن البحتري أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ، ومستكره الألفاظ ، ووحشي الكلام ؛ ولأن أبا تمام شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ومستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة .[52] وبذلك يكون قد أسس لمفهوم عمودالشعر الذى اتضحت أبعاده عند (المرزوقي ت421هـ) فى مقدمة شرحه لديوان حماسة أبي تمام.

وله رأي آخر فى جودة الشعر بأنه الشعر البليغ ، فيقول: ((لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هى إصابة المعنى ، وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية، وذلك كقول البحتري:[53]

والشعرُ لَمْحٌ تَكْفِي إشارتُهُ

وليسَ بالهذْر طوّلَتْ خُطبُه

ونجده يقول . أيضاً : ((وأنا أجمع لك معاني هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر، زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء ، وهى : جودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها))[54].

فمعيار جودة الشعر عند الآمدي . كما أخذها عن شيوخه . أربعة : جودة الآلة ويقصد بها الصياغة اللفظية ، وإصابة الغرض المقصود ويقصد به المعنى الشعري ، وصحة التأليف ويقصد به إجادة الوزن والقافية والتوفيق بينها بحيث يخرج لنا النظم صحيح التأليف ، ثم غاية الإجادة وهي المساواة فيها فلا يزيد فيها ما ليس منها ولا ينقص منها ما هومن صميم جودتها . ومن معايير الجودة عنده . أيضاً . الصدق فى الكلام ، والانتفاع به وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة .[55]

إذاً المعيار العام لجودة الشعر عند نقادنا القدماء يقوم على صحة المعنى ، وشرفه ، وتخير الألفاظ فى أنفسها ، ومن جهة تجاورها وموافقتها للمقام ، وإجادة التراكيب بحيث تكون الألفاظ سلسة فى المنطق ، سهلة عذبة مستعملة بعيدة عن التنافر وشدة الغرابة ، يألف بعضها بعضا حتى تكون الكلمات المتوالية بمنزلة كلمة واحدة ، وتكون الألفاظ التى توردها فى مقام الحماسة ليست كالألفاظ التي توردها فى مقام الغزل والنسيب ، فلكل فن من تلك الفنون ألفاظ توافقه من جهة شدتها ولينها ، ومن معيار جودة الشعر أن يكون صادقاً بعيداً عن المجاز المباعد للحقيقة.

أقسام الشعر:

لقد قسَّم (ابن قتيبة ت 276 هـ) الشعر إلى أربعة أضرب : ضرب حسن لفظه وجاد معناه ، وضرب حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى ، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه ، وضرب تأخر لفظه ومعناه " [56]

ومن أمثلة ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم للضرب الأول ، قول الشاعر :

أيتها النفسُ أجملى جَزَعَا

إنّ الذي تَحْذَرِيْنَ قد وقَعَا

ويعلق على البيت بقوله : " لم يبتدئ أحد مرثية بأحسن من هذا ، ومن النوع الأول . أيضاً . قول أبى ذؤيب فى الرثاء:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبتَها

وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنعُ[57]

ومن أمثلة الضرب الثانى قول القائل:

ولما قضينا مِنْ مِنى كُلَّ حاجةٍ

ومَسَّحَ بالأركانِ مَنْ هو مَاسحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهاري رحالُنا

ولا ينظرُ الغادِي الذي هُوَ رائحُ

أخذنا باطرافِ الأحاديثِ بيننا

وسالتْ بأعناق المطِيِّ الأباطحُ

ويعلق على الأبيات بقوله : ((هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان ، وعَالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينظر الغادى الرائح ، ابتدأنا في الحديث ، وسالت المطي في البطح ، وهذا الصنف في الشعر كثير)).[58]

ومن أمثلته للضرب الثالث عنده – الذى يجود معناه ولفظه غير حسن – قول الشاعر:

ما عاتبَ المرءَ الكريمَ كنفسه

والمرءُ يصلحه الجليسُ الصالحُ

ويعلق عليه بقوله : " هذا وإن كان جيد المعنى

والسبك ، فإنه قليل الماء والرونق "[59] ومن أمثلته على القسم الأخير ، وهو المتأخر لفظاً ومعنى كقول الأعشى فى امرأة:

وفـوهاً كأقـاحىّ
غَذَّاهُ دائمُ الهَطَلِ
كما شيبَ براحٍ با
ردٍ من عسلِ النحلِ[60]

ومن الواضح أن الناقد (ابن قتيبة) يقسم الشعر إلى أربعة أضرب ، على حسب الجودة والرداءة فى ألفاظه ومعانيه ، وأنه لا خلاف عند الناقد فى شرف القسم الأول وانحطاط الأخير، إلا أن د/ مندور، محمد يرى ((أن ابن قتيبة يقصد بالمعنى أحد أمرين : أولهما : الفكرة ، وثانيهما: المعنى الأخلاقى ، فأما الفكرة فإنه لم يجدها فى الأبيات التى استشهد بها على حسن اللفظ وقلة الفائدة فى المعنى ، وأما المعنى الأخلاقى، فهذا واضح من أمثلته التى جاء بها استشهاداً على أقسامه ، ويرى الناقد أن هذه نظرة ضيقة من ابن قتيبة ؛ إذ من الواضح أن مادة الشعر ليست المعانى الأخلاقية ، كما أنها ليست الأفكار ، وأن من أجوده ما يمكن أن يكون مجرد تصوير فني))[61].

فالشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير . كما قال الجاحظ . والنسج والصياغة نظير النظم عند عبد القاهر . إن المعانى الأخلاقية ينبغى أن تكون بعيدة عن الشعر ، أو أن مسرح الشعر ينبغى أن يكون بعيداً عنها ، فالشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير ، انظر إلى قول عنترة يصف روضة في الصحراء في معرض وصف المحبوبة :

أو روضةً أنُفاً تضمَّنَ نبتُها
غيثٌ قليلُ الدِّمَنِ ليسَ بِمَعْلَمِ
جادتْ عليها كلُ عينٍ ثرةٍ
فتركنَ كلَّ قرارةٍ كالدرهمِ
فترى الذبابَ بها يُغَنِّى وحدهُ
هَزْجَاً كفعلِ الشاربِ المترنِّمِ
غَرِداً يَحِكُّ ذراعَه بذراعِه
فِعْلُ المُكِبِ على الزِّنادِ الأَجْزَمِ

ويعلق د/ بسيونى عبد الفتاح على الأبيات بقوله : " فأي معنى خُلُقي وراء هذا التصوير الفني الممتع الذي أعطى صورة دقيقة لحركات الذباب في ذاك الروض الذي جاد عليه الغيث ؟."[62]

إن الجمال الفني للتعبير لا يرجع إلى المعاني الأخلاقية أو غير الأخلاقية ، فمرجعه لا يكون إلى الألفاظ المجردة ، ولا إلى المعاني العامة الشائعة ، وإنَّما الجمالُ يرجع إلى حسن الصياغة ، وجمال النظم ، وما يثيره من معنى نفسي وراء التعبير.

ونرى أن (ابن قتيبة) يقف فى جانب اللفظ والصياغة ويختار الشعر الذى جاد لفظه وقلت فوائده على الذى ساء لفظه وكثرت فوائده ، فهو إذاً ممن يرون أن الصفة النوعية الفارقة للشعر هى الكسوة اللفظية الخاصة ؛ لأن هذه الكسوة هى مجال عمل الشاعر.

وإذا تأملنا ما كتبه ابن طباطبا العلوي في كتابه (عيار الشعر) . أيضاً . فى الشعر نراه يقسمه إلى أربعة أقسام على أساس من اللفظ والمعنى : **القسم الأول : الشعر المتقن** : فيرى أن من صفات الشعر الجيد الصياغة الرائع المعاني ، أو الذي يجمع بين جودة المعنى والصياغة ، ما يحكم به على قصيدة الأعشى فى السموءل بن عادياء اليهودى ، والتى يقول فى أولها:

كُنْ السموءلَ إذا طافَ الهُمَامُ به
فى جَحْفَلٍ كَرِهَاءِ الليلِ جرار

حيث يرى أن القصيدة تمتاز بالآتى : استواء الكلام ، وسهولة مخرجه ، وتمام معانيه ، وصدق الحكاية فيه ، ووضع كل كلمة فى موضعها الذى أريد لها من غير حشو ولا خلل ، و الإيجاز.

فالأشعار الجيدة فى رأيه لابد أن تستوفى الركنين " جودة المعانى وجودة الصياغة " وقد تنبه إلى أن القصة فى الشعر تحتاج إلى الحشو والإيجاز معاً ، فالقصة رخصة للشاعر.[63]

القسم الثانى: الشعر الحسن اللفظ الواهي المعنى: ويرى أن اللفظ كالجسد والروح كلاهما ملازم للآخر لا انفصال بينهما ، وهو لذلك ينبه إلى أنه ينبغى أن يجود الشعر لفظاً ومعنى ، فإذا جاد لفظه ، وكان معناه واهياً ، أو ضعيفاً كان شعراً رديئاً ، ولكن مما يؤخذ عليه أن أمثلته التى جاء بها على ذلك الشعر الحسن اللفظ الواهي المعنى هي أمثلة فى غاية الروعة والجودة[64]. ومن ذلك . أيضاً . قول جميل بثينة:

فياحُسْنها إذْ يغسلُ الدمعُ كُحْلَها

وإذ هى تُذْرى الدَّمْعَ منها الأناملُ

عشيةَ قالتْ فى العتابِ قتلتنى

وَقَتْلِى بما قالتْ هناك تُحَاولُ

القسم الثالث: الشعر حسنُ المعنى وألفاظه رديئة: وهناك . أيضاً . الشعر الذى يصح معناه وتكون صياغته رثة ، وهو هنا يعيب غير معيب مثل قول القائل:[65]

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضوؤه

يَحُوْرُ رُمَاداً بعدَ إذْ هو ساطعُ

وما المال والأهلون إلا وديعةٌ

ولابدَ يوماً أن تردَّ الودائعُ

القسم الرابع : هو الرديء لفظاً ومعنى أو كما يسميه الشعر القاصر عن الغايات ، إما لكونه غير محقق لمقصد الشاعر أو غاياته ، أو أنه لم يحقق ما أراده الشاعر ، وذلك لأن هذه الأشعار قد أصابها الخلل لفظاً ومعنى مثل قول المسيب بن علس:[66]

وقد أتناسى الهمَّ عِنْدَ احتضاره

بناجٍ عليه الصيعريةُ مُكدْم

فسمعه طرفه فقال : استنوق الجمل والصيعرية من سمات النوق . وصف الجمل بصفة من صفات الناقة، وهى الصيعرية ؛ لأنه داءٌ يصيب الناقة لا الجمل.

ومن الشعر الردىء لفظاً ومعنى ما يسميه . أيضاً . **<u>الشعر الرديء النسج</u>** ، يقول فى تعريفه : ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ ، القلقة القوافى ، الرديئة النسج ، فليست تسلم من عيب يلحقها فى حشوها ، أو فى قوافيها ، أو ألفاظها ، أو معانيها ، كقول القائل:[67]

ألا حبذا أرضُ بها هندُ

وهندٌ أتى من دُونِها النَّأْيُ والبعدُ

فقوله " البعد " مع ذكر النأى فضلٌ.

والذى لاشك فيه أن (ابن طباطبا) متأثر فى تقسيمه للشعر من حيث اللفظ والمعنى إلى أربعة أقسام بما كتبه ابن قتيبة (ت 276 هـ) قبله فى ذلك ، من حيث تقسيمه للمعانى والألفاظ إلى أربعة أضرب : ضرب حسن لفظه وجاد معناه ، وضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى ، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه ، وضرب تأخر لفظه ومعناه ، أما القسم الأول عنده فهو ما يسميه بالشعر المتقن ، والقسم الأخير هو ما يسميه ابن طباطبا بالشعر القاصر عن الغايات أو الشعر الرديء النسج.

ثانياً: ما ينبغى توافره في الشاعر من صفات:

لا شك فى أن أصول الأدب أو المقومات الشخصية الإبداعية في الشاعر تتمثل فى أربعة هى : الاستعداد أو الطبع ، والذكاء ، والدربة ، والرواية ، وأن هذه الأصول قد تجتمع لدى أحد الشعراء فتكوِّن شخصيته الأدبية ، ومن ثم يقدر على المجيء بالجيد من صنعة الشعر اللائق بفحول الشعراء.

ولعلنا إذا بحثنا عن جذور هذه الأصول عند النقاد القدامى لوجدناهم قد حاذوا قصب السبق فى القول بها، ونظن أن الجاحظ (ت 255هـ) أول من أشار

إلى ذلك حين ذكر قوله : " سمعت أبا دؤاد يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخير الكلام، والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه وأنشدنى بيتاً له في صفة خطباء إياد:[68]

يَرْمُوْنَ بالخُطَب الطوالِ وتارةً

وحى الملاحظِ خفيةَ الرُّقَباءِ

فذكر المبسوط في موضعه ، والمحذوف في موضعه، والموجز والكناية ، والوحي باللحظ ودلالة الإشارة .

ونجد (ابن قتيبة ت 276هـ) يقول بحاجة الأدب إلى السماع : " كل علم محتاج إلى السماع ، وأحوجه إلى ذلك علم الدين ثم الشعر ، لما فيه من الألفاظ الغريبة واللغات المختلفة ، والكلام الوحشي ، وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه ، فإنك لا تفصل فى شعر الهذليين إذا أنت لم تسمع بين " شابة ، وسابة " وهما موضعان "[69]. والحديث عن حاجة الأدب إلى السماع يتضمن الحديث عن حاجة الأديب إلى الثقافة السماعية ، فالشاعر الجيد هو الذى يعي الألفاظ الغريبة ، واللغات الأجنبية ، والكلام الوحشي ، ويدرك أسماء النبات والحيوان ، وأسماء الأماكن والجبال ، ويعرف مواضع الماء وغير ذلك حتى يقدر على استعمال ما ينفعه فى قول الشعر ، ويبعد عما يشين صنعته من ألفاظ حوشية أو غريبة تحط من شعره ، وكل ذلك لا يكون إلا بالسماع ، أما الثقافة التى تدرك من خلال الصحف ، فربما يكون فيها ما يؤدي إلى تصحيف أو تحريف.

ومن صفات الشاعر عند (ابن قتيبة) أن يكون غير متكلِّف بل مطبوعاً ، فالتكلف والطبع متضادان ، وكلا المصطلحين استخدمهما الناقد ، ولكن استخدامه لهما كان بدلالات مختلفة ، " فالتكلِّف حين يكون وصفاً للشاعر مختلف حين يكون وصفاً للشعر ، تقول شاعر متكلِّف بكسر اللام وتعنى ما نعنيه حين نقول إنه " صانع " ولهذا يقول ابن قتيبة :" فالمتكلف من الشعراء هو الذى قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة..."[70].

ولا يظن ظان أن الناقد هنا يقدح شعر زهير أو الحطيئة ، ويحط من قدرهما ، أو يراهما دون الشعراء المطبوعين الذين تنثال المعانى والألفاظ على ألسنتهم انثيالاً ، أو يتدفق القول منهم تدفقاً ، وهم الذين نطلق عليهم عفوي القول ، فالمطبوع من الشعراء فى رأي ابن قتيبة : ((مَنْ سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته ، وتبين على شعره رونق الطبع ، ووشي الغريزة ، وإذا امتُحِن لم يتلعثم ولم يتزحّر))[71].

أما الشاعر المتكلِّف فهو الشاعر الذى يظهر عليه شدة العناء ورشح الجبين عند الإتيان بالشعر وعلى شعره تبدو جلية كثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعانى إليه حاجة ، وزيادة ما بالمعانى غِنَة عنه ، وهذا ما يسميه ابن قتيبة " رداءة الصنعة " ، وليس كذلك شعر المنقحين أمثال زهير والحطيئة[72]. فمصطلح التكلف حين يلحق بالشاعر يعني شدة التفكير والتنقيح لشعر الشاعر ، وأنها سمة متميزة يوصف بها الشاعر ، وحين يطلق هذا المصطلح وصفاً للشعر يعني أنه شعر رديء الصنعة.

وكلمة الطبع تظهر عند (ابن قتيبة) بدلالات أخرى تدل عل المعنى نفسه ، فهى قد تكون بمعنى الغريزة ، وذلك فى تفسيره عسر قول الشعر على الشاعر فى قوله : إنه قد ينشأ من عارض يعترض على الغريزة أى يؤثر فى الطبع ، فالطبع كلمة تتعدد دلالاتها ، فهي تعني قوة الشاعرية أو الطاقة الشعرية ، وذلك فى مثل قوله : والشعراء . أيضاً . فى الطبع مختلفون ، فمنهم مَنْ يسهل عليه المديح ، ويعسر عليه الهجاء ، ومنهم مَن يتيسر له المراثي ، ويتعذر عليه الغزل[73].

وقد تدل كلمة الطبع . أيضاً . على معنى المزاج حين يتحدث عن تعسر القول على الشاعر فى وقت دون وقت ، وفى مكان دون مكان ، ومن ثمَّ نجده يستخدم كلمة الطبع بمعنى المزاج لتدل على ثلاث حالات :

الأولى : الحالة النفسية التى تدفع الشاعر لقول الشعر وتتمثل فى الطمع ، والشوق والطرب ، والغضب ، وما يثيره بعض هذه المحفزات كالشراب ، والمناظر الطبيعية الخلابة ، فلهذا أثره فى تفاوت شعر الشاعر الواحد ، فبعض الحالات النفسية تمنع الشاعر من قول الشعر مثل الغم أو سوء الغذاء.

الثانية : وهى العلاقة بين الشاعر ووقت قول الشعر، وتتمثل فى أن بعض الأوقات له تأثير خاص فى مزاج الشاعر الشعري مثل أول الليل قبل تغشى الكرى، وصدر النهار قبل الغذاء ، ولهذا . أيضاً . أثره فى اختلاف شعر الشاعر فى وقت دون وقت آخر ، كاختيار الشاعر لوقت غير الأوقات السابقة لقول الشعر فيصعب عليه ذلك .

الثالثة : وهى مراعاة الحالة النفسية للمخاطب ، ومن ثمَّ علل لبناء القصيدة العربية : من استهلال لها بالبكاء على الأطلال ثم الانتقال إلى وصف الرحلة والنسيب :" ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعى إصغاء الأسماع ؛ لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام ، فإذا استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقَّب بإيجاب الحقوق..."[74].

ومما سبق يتضح لنا أن (ابن قتيبة) لفت الانتباه إلى الاهتمام بالشاعر دون إغفال الحديث عن الشعر والمخاطب به ، فالشاعر إما متكلِّف أو مطبوع ، وكلا الوصفين يعد سمة مميزة له ؛ لأن لهما أثراً واضحاً فى تجويده لقوله الشعرى ، كما وضَّح لنا أثر الحالة النفسية التى تطرأ على الشاعر ، وما لها من أثر واضح فى تجويده للشعر ـ أيضاً ـ كذلك حديثه عن الثقافة السماعية التى ينبغى أن يحيط بها الشاعر، وهذه هي الدربة التي تحدث عنها النقاد بعده.

ومن البلاغة كذلك حديثه عن الحالة النفسية للمستمع فهو شريك فاعل فى مشاركة الشاعر لعواطفه ، لذلك أثره فى تجويده لشعره ، كما أنه لم ينس الحديث عن الشعر الرديء الصنعة ، أو الشعر المتكلَّف .

ويرى د/ إحسان عباس أن ابن قتيبة لم يصرح بالحديث عن الخيال عند الشاعر ؛ لأن حديثه عن الطبع يتضمن تلك القوة التخييلية التى تستثار بالحوافز أو بالطواف فى الرباع المخيلة ، والرياض المعشبة ، أو بالوقوف عند الماء الجاري ، والمكان الخضر الخالى ، وقوة الخيال تعني قوة الغريزة التي تحدث عنها ، وهى قوة متفاوتة بمقدار اختلاف المؤثرات فيها ، وهى بحاجة إلى دربة عن طريق الثقافة [75] .

وممن كان له فضل السبق قى ترسيخ المقومات الشخصية للأديب (ابن طباطبا ت 322هـ) ، لذا يطلب من الشاعر: ((أن يديم النظر فى الأشعار التى اخترناها ؛ لتلتصق معانيها بفهمه ، وترسخ أصولها فى قلبه ، وتصير مواداً لطبعه ، ويذوب لسانه بألفاظها ، فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التى تخرجها المعادن))[76]. فالناقد يطلب من الشاعر أن يطيل النظر فى أشعار غيره من السابقين ، ويتمرس بها ؛ لتكون زاداً له ، ومعيناً لا ينضب على قرض الشعر ، لا ليغير على أشعار الآخرين من الشعراء ، ويستدل على صواب رأيه بما رواه عن خالد بن عبد الله القسرى : " حفظنى أبى ألف خطبة ، ثم قال تناسها ، فتناسيتُها ، فلم أرد بعد ذلك شيئاً من الكلام

إلا سهل عليّ ، فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه وتهذيباً لطبعه، وتلقيحاً لذهنه ، ومادة لفصاحته، وسبباً لبلاغته ولسنه وخطابته ".[77]

ويتضح من كلام (ابن طباطبا) أنه يؤكد على أهمية الإطلاع على أشعار السابقين ، والإكثار من روايتها وحفظها ؛ ليكون سبباً لبلاغة الشاعر أو الخطيب . وهو بذلك يعد سابقاً لكثيرمن النقاد الذين يقولون بأن الطريق إلى تعلم الأدب : شعراً كان أو نثراً هو حفظ كلام الآخرين وفهمه ، وتمييز غاياته التى ينشد إليها.

ومن النقاد القدامى الذين كان لهم رأي بارزٌ فى الحديث عن صفات الشاعر الإبداعية (القاضي الجرجاني ت 392هـ) ، وآراؤه تسبق آراء كثير من النقاد فى ذلك المجال ، إذ يقول : ((أنا أقول – أيدك الله – إنّ الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبع ، والرواية ، والذكاء ، ثم تكون الدُّربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المُبَرَّز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ، ولست أفضل فى هذه النصيحة بين القديم والمحدث ، والجاهلي والمخضرم ، والأعرابي والمولد ، إلا إنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر)).[78]

فالقاضي الجرجاني يرى أن بناء الشخصية الأدبية تقوم على بعض العناصر وهى : الطبع ، والذكاء ، والرواية ، والدربة فمن تجتمع له فهو المفضل والمحسن ، وبفضل نصيبه منها تكون درجته من الإحسان والإجادة ثم هو لا يختص بها عصر دون آخر ، ولعلّه أول ناقد يلتفت إلى أهمية الذكاء فى بناء شخصية الأديب. والطبع عند القاضي الجرجاني هو ما يطلق عليه عند بعض النقاد اسم " الاستعداد " ويهتم به اهتماماً بالغاً ، وهو خِلْقى ليس للإنسان فيه دخل أو اختيار كما سبق القول.

ثم يأتى (ابن خلدون ت 808هـ) فى مقدمته ، ويرى أن : " ملكة البلاغة إنما تحصل بالممارسة ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك التى استنبطها أهل صناعة اللسان ".[79]

ويرى ((أن مَنْ قلَّ حفظه أو عدم لم يكن له شعر ، وإنما هو نظمٌ ساقط ، واجتناب الشعر أولى ، فمن لم يكن له محفوظ ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال ، يقبل على النظم ، وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ)).[80]

فالناقد يؤكد على أهمية الحفظ والرواية لأشعار السابقين ، والنسج على منوالها ، فالحفظ والرواية من أهم العناصر المكوِّنة لشخصية الأديب . شاعراً كان أو ناثراً . بعد الطبع أو الاستعداد ، والذكاء ، والدربة لأقوال السابقين ، فالدربة ضرورية لمعرفة شعر الشاعر ، وذلك لا يتأتى إلا بكثرة الإطلاع على أعماله والتمرس بها ، ومعرفة مذهبه فيها ، وبتلك الدربة والممارسة نكتسب خبرة لازمة فى كشف جوانب أى عمل أدبي.

ومطالعة آثار القدماء ليست بهدف احتذائها كما هي ، وإنما للاستنارة بها فحسب ، وفى حالة النصوص النقدية يكون الهدف هو اكتساب القدرة على ممارسة النقد.

هذه هى المقومات الأساسية التي تكوّن شخصية الأديب وتجعله يبدع فى فنه ، فمَنْ ليس عنده طبع أو استعداد فطرى فعليه ألا يورط نفسه فى قول الأدب ؛ لأنه سيأتى بالمتكلف الذى لا فائدة منه ، بل سيأتى بما هو معاظل من التراكيب ، ولذلك وجدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يمدح زهير بن أبي سلمى بأمور تعود إلى الطبع ؛ إذ قال حين فضله على الشعراء : كان لا يعاظل فى شعره ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، وأصل هذه الكلمة . المعاظلة . من قولهم : تعاظلت الجرادتان ، إذا ركبت إحداهما الأخرى ، وعاظل الرجل المرأة إذا ركبها . ومن المعاظلة قول الفرزدق:

وما مثلُه فى الناسِ إلا مُمَلَّكاً

أبو أمه حيّ أبوه يُقَاربه

فالبيت غير فصيح لسوء نظمه أو لاتصافه بالمعاظلة

التى حدثت فيه نتيجة تعقيد ألفاظ البيت ، وصعوبة استخلاص المعنى الذى أراده الشاعر ، فهو يريد أن يقول: ((وما مثله . يعنى الممدوح . فى الناس حي يقاربه . أى أحد يشبهه فى الفضائل . إلا مملكاً . يعنى هشام بن عبد الملك ابن أخت الممدوح . أبو أمه . أى أبو أم هشام أبوه . أى أبو الممدوح ، فالضمير فى أمه للمملك ، وفى أبوه للممدوح . فالشاعر فى البيت قد فصل بين " أبو أمه " وهو مبتدأ ، و" أبوه " وهو خبر المبتدأ بأجنبى وهو"حي " وكذلك فصل بين النعت والمنعوت ، وهما " حى يقاربه " بأجنبى وهو " أبوه " ثم قدم المستثنى وهو " مملكاً " على المستثنى منه وهو" حى يقاربه))[81].

وليس من شك فى أن (قدامة بن جعفر) في كتابه (نقد الشعر) تحدث عن المعاظلة وجعلها من عيوب اللفظ ، وهى فاحش الاستعارة ومنها قول الشاعر:[82]

وما برحَ الولدانُ حتَّى رأيتهُ

على البكرِ يُمْريه بساقٍ وحافرِ

فقد استعار الحافر لقدم الإنسان ، وهذا من سوء النظم وتعقيده ، ووضع الكلام فى غير موضعه الملائم له . إذاً الطبع من أهم الصفات الإبداعية التى ينبغى توافرها في بناء شخصية الشاعر الإبداعية .

خاتمة البحث:

لقد اتضح لنا أن مفهوم الشعر فى النقد العربى القديم يتحدد فى مجموعة من المكونات وهي : . * الوزن والقافية أساس من أسس بناء الشعر ، وهذا لا ينفي توافر الطبع والذوق الفطري اللذين هما أساس موهبة الشاعر ، وإلا فعليه أن يراجع دراسة العروض . كما صنعها الخليل بن أحمد . حتى تصبح معرفته كالطبع وتستقيم شاعريته .

* آلية الشعر عند قدامة بن جعفر تتحقق بأربعة أشياء وهى : اللفظ ، والوزن ، والقافية ، والمعنى .

* أضاف الآمدي فى الموازنة آلية أخرى للشعر، وهى الصورة الفنية أو كما قال الاستعارات والتمثيلات اللائقة بالمعنى ، ولكنه غفل عن عنصر مهم فى صنع الصورة الفنية وهو الخيال .

* وأضاف ابن رشيق عنصراً أخر بعد اللفظ والوزن والمعنى والقافية ، وهو نية الشاعر فى قول الشعر، وفى رأينا أن نية الشاعر لابد أن تتوافر لديه حتماً حينما يريد التعبير عن المعنى الوجداني الذى يدور فى خلده بألفاظ تناسبه وتتوافق معه .

* أما حازم القرطاجني فقد أضاف عناصر أخرى للشعر وهى: التخييل والمحاكاة، وكذلك التأثير فى المتلقي، وإن كان التخييل عنده ليس مبتكراً فقد أفاده من فلاسفة اليونان، وكذا تحدث عنه الجاحظ قبله حينما عرَّف الشعر بأنه ضرب من النسج وجنس من التصوير .

* من معايير جودة الشعر عند النقاد القدامى صحة المعنى وشرفه ، وتخير الألفاظ فى أنفسها ، ومن جهة تجاورها وموافقتها للمقام ، وإجادة التراكيب بحيث تكون الألفاظ سلسة فى المنطق ، سهلة عذبة مستعملة بعيدة عن التنافر وشدة الغرابة ، تألف بعضها بعضا حتى تكون الكلمات المتوالية بمنزلة كلمة واحدة ، وتكون الألفاظ التى توردها فى مقام الحماسة ليست كالألفاظ التى توردها فى مقام الغزل والنسيب ، فلكل فن من تلك الفنون ألفاظ توافقه من جهة شدتها ولينها ، ومن معيار جودة الشعر أن يكون صادقاً بعيداً عن المجاز المباعد للحقيقة.

* قسَّم النقاد الشعرَ إلى أربعة أنواع وهى : الشعر المتقن الذى جاد لفظه ومعناه، والشعر الحسن اللفظ ، الواهي المعنى، والشعر حسن المعنى وألفاظه رديئة ، والشعر الرديء لفظاً ومعنى أو كما يسميه بعض النقاد الشعر القاصر عن الغايات أو الشعر الردىء النسج .

* اتضح لنا أن ما ينبغى توافره في الشاعر أو الأديب كما قال النقاد القدماء تتمثل فى: الطبع أو الاستعداد، والحفظ والرواية لأشعار السابقين من الشعراء المجيدين، وفطنة الشاعر ودربته أو التمرس بالقول الشعرى، ثم لابد أن يتوافر لدى الشاعر الثقافة العالية.

الهوامش :

(1) ابن رشيق القيروانى " العمدة فى محاسن الشعر وآدابه " ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ، ط دار الجبل بيروت ، 1981م ، 65/1.

(2) الجاحظ :" الحيوان " ، ت/ عبد السلام هارون ، مطبعة الحلبي ، ط 2، القاهرة 1965 م ، 71/1وما بعدها .

(3) ابن سلام الجمحي:" طبقات فحول الشعراء " ت / محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة وجدة، 1992م ، 24/1.

(4) سامي مكي العانى :" الإسلام والشعر " مطابع الرسالة، الكويت ، 1983م ، ص 9.

(5) الجاحظ" الحيوان" 131/3 وما بعدها.* وفى رواية: الشعر صياغة.

(6) الجاحظ :" المصدر السابق " : 3/ 39.

(7) الجاحظ :) :" المصدر نفسه " 1967م : 6 /8 .

(8) الجاحظ " المصدر نفسه " 1/ 74 وما بعدها .

(9) أحمد أمين " النقد الأدبي " ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ثالثة ، 1963م ، ص 68.

(10) ابن طباطبا العلوي :" عيار الشعر " ت/ محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، د ت ، ص 41.

(11) ابن طباطبا العلوي :المصدر السابق " ص 45.

(12) انظر : د/ عبد الحميد القط ، " في النقد القديم والبلاغة " طبعة أولى ، دار المعارف ، القاهرة ، 1992م ، ص 18.

(13) ابن طباطبا العلوي :" عيار الشعر " ص 43.

(14) ابن طباطبا العلوي :" المصدر السابق " ص 140 .

(15) ابن طباطبا العلوي :" المصدر نفسه " ص 143.

(16) ابن طباطبا العلوي :" المصدر نفسه " " ص 170.

(17) ابن طباطبا العلوي:" المصدر نفسه "" ص 53.

(18) قدامة بن جعفر ،:" نقد الشعر " ت/ محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1987م، ص 64.

(19) قدامة بن جعفر: " المصدر السابق " : ص 64 وما بعدها .

(20) د/ إحسان عباس :" تأريخ النقد الأدبي عند العرب " دار الشروق للنشر ، عمان بالأردن ، 2001م ، ص 179 وما بعدها .

(21) قدامة بن جعفر ،:" نقد الشعر " : ص 86.

(22) قدامة بن جعفر ،:" المصدر السابق " ص 176.

(23) قدامة بن جعفر ،:" المصدر نفسه " ص 168.

(24) انظر: د/ عبد الحميد القط، " في النقد القديم والبلاغة " ص 20.

(25) ابن سينا :" الشفاء " ضمن مجلد فن الشعر لأرسطو " ت/ عبدالرحمن بدوي ، دار المعارف القاهرة ، 1953م ، ص 161.

(26) الآمدي :" الموازنة " تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المسيرة ، بيروت ط خامسة ، 1987م، ص 380.

(27) الآمدي " المصدر السابق "، ص 381وما بعدها .

(28) الآمدي " المصدر نفسه " ، ص 383.

(29) ابن رشيق القيرواني" العمدة فى محاسن الشعر وآدابه" 121/1.

(30) االبن رشيق القيرواني :" المصدر السابق " 116/1.

(31) ابن رشيق القيرواني : " المصدر نفسه " 119/1.

(32) حازم القرطاجني:" منهاج البلغاء وسراج الأدباء "ت/ محمد بن حبيب الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس عام 1966م، ص 27 وما بعدها.

(33) حازم القرطاجني :" المصدر السابق " ص 71.

(34) انظر : د/ إحسان عباس : :" تاريخ النقد الأدبى عند العرب " ص 551.

(35) انظر : د/ ألفت كمال الروبى :" مفهوم الشعر عند السجلماسي ضمن كتاب : بلاغة التوصيل وتأسيس النوع " الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، يوليو 2001م ، ص 329 وما بعدها

(36) انظر: د/ ألفت كمال الروبى:" المرجع السابق" ص 325 وما بعدها.

(37) ابن سينا :" الشفاء" : ص 24، وانظر : د/ إحسان عباس :" المرجع السابق " ص 549 وما بعدها .

(38) ابن سينا : " المرجع السابق " : ص 550 .

(39) انظر: د/ جابرعصفور:" الصورة الفنية فى التراث النقدي والبلاغي :" دار الثقافة للطباعة ،القاهرة ، 1974م، ص 27.

(40) ابن خلدون " المقدمة " ت / د. علي عبدالواحد وافي ، ط دارنهضة مصر ، د ت ، 3/ 1305.

(41) ابن خلدون : " المصدر السابق " 3/ 1299.

(42) ابن خلدون " المصدر السابق " 3/ 1296.

(43) ابن خلدون ، " المصدر السابق " 3/ 1305.

(44) أحمد أمين ، " النقد الأدبي " ، ص63. وانظر : د. محمد على زكي صباغ " البلاغة الشعرية في البيان والتبيين للجاحظ " ط أولى ، المكتبة العصرية بيروت ،عام 1998م ، ص 147.

(45) ابن خلدون " المصدر السابق " 3/ 1304.

(46) الجاحظ " البيان والتبيين " ت / عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط سابعة ، عام 1998 م ، 1/ 67.

(47) ابن طباطبا العلوي : " عيار الشعر " : ص45 .

(48) ابن طباطبا العلوي : " المصدر السابق " : ص 167.

(49) ابن طباطبا العلوي : " المصدر نفسه " : ص 168.

(50) ابن طباطبا العلوي : " المصدر نفسه " : ص 169.

(51) الآمدي ، " الموازنة "، ص 25.

(52) الآمدي " المصدر السابق "، : ص 11.

(53) الآمدي ، " المصدر نفسه "، ص 380 .

(54) الآمدي ، " المصدر نفسه "، ص 381.

(55) الآمدي " المصدر نفسه " ، ص 383.

(56) ابن قتيبة : " الشعر والشعراء " ت / أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ط ثانية ، عام 1982 م ، 64/1-69

(57) ابن قتيبة " المصدر السابق "65/1 .

(58) ابن قتيبة " المصدر نفسه " 66/1.

(59) ابن قتيبة " المصدر نفسه " 1/ 68.

(60) ابن قتيبة " المصدر نفسه " 1/ 69.

(61) د/ محمد مندور :" النقد المنهجي عند العرب " دار نهضة مصر ، القاهرة ،عام 1966م ، ص 34 ، 35.

(62) د/ بسيوني عبدالفتاح : " دراسات بلاغية " ، مؤسسة المختار القاهرة ، طبعة أولى ، 1988م ، ص 23.

(63) ابن طباطبا العلوي : "عيار الشعر ": ص 84 .وانظر ، د/

عبدالحميد القط ، "في النقد القديم والبلاغة " ص 27.
(64) ابن طباطبا العلوي : " المصدر السابق " : ص 119.
(65) ابن طباطبا العلوي : " المصدر نفسه " : ص 124.
(66) ابن طباطبا العلوي : " المصدر نفسه " : ص 133.
(67) ابن طباطبا العلوي : " المصدر نفسه " : ص 140.
(68) الجاحظ : " البيان والتبيين " : 44/1 .
(69) ابن قتيبة : " الشعر والشعراء " : 82/1 .
(70) ابن قتيبة : " المصدر السابق " ص 22. ، وانظر :" د/ إحسان عباس ،:" تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ص97.
(71) ابن قتيبة : " المصدر السابق " : ص 34.
(72) انظر:ابن قتيبة ،" المصدر نفسه " : ص 32 ، وانظر: د/ عباس ، إحسان:" المرجع السابق " ص 97.
(73) ابن قتيبة : " المصدر نفسه " : ص 37.
(74) ابن قتيبة : " المصدر نفسه ": ص 20.
(75) انظر : د/ إحسان عباس :" تاريخ النقد الأدبي عند العرب " : ص 114.
(76) ابن طباطبا العلوي :" عيار الشعر " ص 48
(77) انظر : ابن طباطبا العلوي : " المصدر السابق " : ص 48.
(78) القاضي الجرجاني ، " الوساطة بين المتنبى وخصومه " ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى ، مطبعة الحلبي مصر ، عام 1966م ، ص 15 وما بعدها .
(79) ابن خلدون : " المقدمة " 3/ 1289.
(80) ابن خلدون ، " المصدر السابق " : 1306/3 .
(81) د. عبدالعزيز عتيق ، ":" علم المعاني " ط أولى ، دار الآفاق العربية القاهرة ، عام 2006م ، ص 15.
(82) قدامة بن جعفر :" نقد الشعر " ص 177.

المصادر والمراجع :

1- الآمدي: " أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى " (ت 371هـ):* " الموازنة بين أبى تمام والبحترى " : تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المسيرة ، بيروت ، 1987م .
2- د/ إحسان عباس :" تأريخ النقد الأدبي عند العرب " دار الشروق للنشر ، عمان ، الأردن ، عام 2001م .
3- أحمد أمين :" النقد الأدبي " ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ثالثة ، عام 1963م .
4- د/ ألفت كمال الروبى :" مفهوم الشعر عند السجلماسي ضمن كتاب : بلاغة التوصيل وتأسيس النوع " الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، يوليو 2001م
5- الباقلاني : " أبوبكر محمد بن الطيب " (ت 403هـ)" إعجاز القرآن " تحقيق/ السيد صقر"، دار المعارف ، طبعة خامسة 1981م .
6- البحتري : أبو عبادة الوليد (ت 284هـ): " ديوانه :" تحقيق /حسن كامل الصيرفي" ، دار المعارف بمصر ، عام 1972م .
7- د/ بسيوني عبد الفتاح فيود : " دراسات بلاغية " مؤسسة المختار ، ط أولى ، عام 1998م.
8- د. جابر عصفور:" الصورة الفنية فى التراث النقدي والبلاغي ": دار الثقافة ، القاهرة ، عام 1974م .
9- الجاحظ : " أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ): " البيان والتبيين " تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، طبعة سابعة ، عام 1998م * " الحيوان : تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي القاهرة ، ط 2 ، عام 1965م .
10- الجرجاني :القاضي على بن عبد العزيز (ت 392 هـ):* " الوساطة بين المتنبي وخصومه فى شعره " تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوي ، مطبعة الحلبي مصر ، طبعة عام 1966م .
11- حازم القرطاجني :" منهاج البلغاء وسراج الأدباء " ت/ محمد بن حبيب الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس عام 1966م
12- ابن خلدون: " عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ):* المقدمة : " تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصرالقاهرة د.ت .
13- ابن رشيق:" أبو الحسن علي بن رشيق القيرواني"(ت 456هـ):* " العمدة فى محاسن الشعر وآدابه " تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، ط دار الجبل بيروت ، عام 1981م .
14- د/ سامي مكى العانى :" الإسلام والشعر " مطابع الرسالة ، الكويت ، عام 1983م .
15- ابن سلام : " محمد بن سلام الجمحي (ت 232هـ):* " طبقات فحول الشعراء " ، تحقيق " محمود محمد شاكر " ، مطبعة المدني القاهرة وجده ، عام 1992م .
16- ابن سينا :" الشفاء " ضمن مجلد فن الشعر لأرسطو " ت/ عبدالرحمن بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ، عام1953م .
17- ابن طباطبا: " محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت 322هـ):" عيار الشعر " تحقيق د/ محمد زغلول سلام ، مطبعة التقدم بمصر ، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية ، د.ت .
18- ابن قتيبة : " أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ):" الشعر والشعراء " تحقيق / أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية، عام 1982م .
19- قدامة بن جعفر (ت 337هـ):* قدامة بن جعفر :" نقد الشعر " ت/ محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ، عام 1987م .
20- د. عبدالحميد القط :" في النقد القديم والبلاغة " طبعة أولى ، دار المعارف، القاهرة ، عام 1992م .
21- د/ عبد العزيز عتيق:" علم المعاني " دار الآفاق العربية القاهرة ، ط أولى ، عام 2006م.
22- عنترة بن شداد العبسى :" ديوانه" ، تحقيق /عبد المنعم عبد الرءوف ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ، د.ت.
23- المتنبي : " أبو الطيب أحمد بن الحسين " (ت 354هـ) :* ديوانه : تحقيق"عبد الرحمن البرقوقي " مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، طبعة ثانية عام 1938م .
24- د. محمد على زكي صباغ :" البلاغة الشعرية في البيان والتبيين للجاحظ " ، المكتبة العصرية بيروت ، ط أولى ، عام 1988م .
25- د/ محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب " دار نهضة مصر، القاهرة ، عام 1966م.

The Concept of Poetry and the Poet in the Old Arab Monetary

Ibrahim Abdel- Latif El Madawy El Imam

Abstract

This study focuses on the concept of poetry in the old Arab Monetary. It states that the traditional critics have dealt with the classical Arabic poetry in terms of determining its mechanism, and the characteristics inherent in such a mechanism. Besides, the study clarified some of the issues related to poetry from the traditional critics' point of view until the beginning of the era of revival in the monetary era. Moreover, the study illustrates those critics' statement on the features of the classical Arab poet or what might be available in his character of the influential factor that affect the structure of his literary work in an innovative way .

The researcher addressed, in the beginning of this study, the status of poetry among the ancient Arabs , in addition to what makes the poet distinct among the members of his tribe. Then, the researcher tried to highlight the mechanism of Arabic poetry which represented through some elements, namely: pronunciation, rhythm, emotive meaning, rhyme , and then imagination , which produces technical picture affecting the audience. After that some of the issues related to classical Arabic poetry were illustrated from the perspective of the traditional Arab critics, namely: quality standards of poetry, and poetry divisions. Besides, the study clarified the characteristics that should be available in the poet or the writer of literary works. These characteristics should have an impact on the building of his literary personal. These characteristics include : talent, intelligence, narration , literary expertise , wide knowledge, and preserving some of the selective features of the ancient poets, and imitating them. Finally the study come up with some of the findings concerning the issue in question.